**الفصل الرابع / حكم المماليك والاسر الحاكمة في العراق**

**- حكم الاسر**

شهد العراق منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشرتكوين عدد من الحكومات المحلية في مدنه الرئيسة ، شأن معظم ولايات الدولة العثمانية عامة ، ونتيجة ضعف السلطة المركزية ، وبعدها عن السلطة المركزية ، ولانحسار الوجود الفعلي للسلطة العثمانية المباشرة على اقاليمها العديدة ادى الى قيام حكومات محلية قوية تمكنة من ملء الفراغ الناجم عن ذلك الانحسار ، فظهرت حكومات محلية في اقاليمها العربية نسقت بين تمتعها باستقلال اداري وعسكري فعلي وبين وجودها ضمن السيادة العثمانية وسرعان ما تحولت الى حكومات لا مركزية تحكم باسم الدولة شريطة المحافظة على الاوضاع وضمان ارسال الاموال السنوية الى العاصمة مقابل الاعتراف بحكم تلك الحكومات التي تحولت الى حكم وراثي في داخل الأسر ، ويبدو ان الدولة العثمانية تنشد الهدوء لاسيما في ولاياتها البعيدة عن مركز العاصمة استانبول مع ضمان ولائها لهم وارسال الاموال بشكل دائم مثل ، آل العظم في دمشق والشهابيون في لبنان والاشراف في الحجاز،وآل القرملي في طرابلس الغرب وحكومة محمد علي بيك في مصر .

اما العراق فقد شهدت ولاياته منذ مطلع القرن السابع عشر محاولات متعددة لقوى محلية استهدفت تأسيس حكومات محلية وراثية مثل الأسرة الجليلية في الموصل والأسرة البابانية في شهرزور( السليمانية ) ، والبهدنانية في العمادية ، وفي البصرة كانت اسرة افرسياب كما حكم العراق حكم المماليك التي تم جلبهم من الخارج تحت ضغط ظروف معينة ، ونشأت اجيال حكمت بغداد والبصرة .

**س/ اسباب قيام حكم الاسر وقيام حكومات محلية في الولايات العثمانية ؟ واعطاء مثال على ذلك**

**- حكم المماليك في بغداد والبصرة 1750-1831م .**

ظهر المماليك كقوة عسكرية في العراق على يد الواليين حسن باشا وابنه احمد باشا كما مرة بنا وتم استخدامهم في تثبيت السلطة والقضاء على تمردات والثورات التي كانت تحدث انذاك بعد ان ضعفت الانكشارية عن اداء واجباتها واصبحت عنصر تمرد على الولاة ، غير ان المماليك استطاعوا ان يتحولوا الى قوة سياسية متنفذة بدأت تطمع في السيطرة على الحكم بعد وفاة احمد باشا عام 1747م .

- **أهم حكام المماليك الذين تولوا الحكم في بغداد**

أ- **سليمان اغا او باشا (ابو ليلى ) 1750-1762م** . وهو اول من تولى الحكم من المماليك في بغداد وهو زوج ابنة الوالي السابق احمد باشا وتدعى (عادلة خانم ) التي لعبت دورا كبيرا في الحكم اثناء حكم زوجها وهذا ما كان يعاب علية بالرغم من ان الناس كانت تهابه واطلقت عليه عدة القاب منها ابوليله بسبب خروجه مع الحرس وتجواله في بغداد ليلا كان ذو بأس شديد ويهاجم اعداؤه حتى في اليل والقاب اخرى سليمان الاسد . ولغرض تدعيم حكمه جلب المزيد من المماليك وأسس لهم مدرسة خاصة وألف منهم جيشاً كبيرا ، وعين الزعماء من المماليك الموالين له في مناصب عليا واستطاع سليمان باشا ومن خلال الممالبك الموالين له القضاء على الثورات والتمردات العشائرية على حكمه مثل تمرد الايزيدية في سنجار 1752م، وعشائر الزوبع التي هاجمت اطراف بغداد 1755م واستمر في الحكم حتى وفاته في مرض عضال سنة 1762مبعد اثبت خلال فترة حكمه كفاءة في الحرب والسلم ، ويظهر تسلم سليمان باشا عجز السلطة العثمانية في اسطنبول عن فرض سيطرتها المباشرة حتى اصبحت امام الامر الواقع تقر فيه بسلطة رئيس المماليك سليمان اغا ومن جاء من بعد رغم محاولتها ابعاد سلطة المماليك عن بغداد بعد وفاته لاسيما بعد نشأة العديد من رؤساء المماليك في بغداد وعلاقاتهم بالفئات المتنفذة في المجتمع ساعدة على تولي المماليك الحكم .

**ب- الوالي علي اغا 1762-1764:** حاولت الدولة العثمانية بعد وفاة الوالي سليمان اغا فرض سيطرتها على بغداد وابعاد المماليك عن مركز القرار فارسلت والي الرقة سعد الدين والياً على بغداد لكن هذا القرار العثماني لم يكن له وزن امام سلطة المماليك وقوة نفوذهم بالاتفاق مع ذوي النفوذ في بغداد ومن هنا جاء تعين المملوك (علي اغا ) ليكون واليا على بغداد وتمكن من ازاحة منافسيه على الحكم وبتأثير من الصدر الاعظم (محمد راغب باشا) وبتوصية من اصحاب النفوذ والاعيان في بغداد فقام الوالي بتثبيت حكمه عن طريق تجريد حملات عديدة ضد العشائر المتمردة على السلطة مثل عشائر **بني لام 1763م ، وعشائر الخزاعل في السماوة وبني كعب في شرق البصرة واسرة آل بابان في شهرزور،** الا ان الوالي كثرة منافسوه ومعارضوه من المماليك ، تم تدبير مؤامرة لاغتياله واتهامه بموالاته لايران سنة 1764م .

**ج- الوالي عمر باشا 1764-1775م** : تولى الولاية بعد اغتيال الوالي علي اغا وتميز حكمه بالتساهل فأضطربت الاحوال في عهده بالرغم من تجريدالحملات ضد العشائر الخزعل وبني كعب ومحاولة التدخل في الامارات الكردية وشؤون حكم الاسرة الجليلية عن طريق دعم بعض المعارضين لها وشهد عهده انتشار مرض الطاعون الذي فتك في الناس فتكا سنة 1772-1773 م واستمر ستة اشهر فر الناس من بغداد ومعهم الوالي نفسه ، وشهد عهده كذلك الغزو الايراني للبصرة سنة 1775 في **عهد كريم خان الزند** وطلب متسلم البصرة سليمان باشا المملوكي المساعدة من عمر باشا الذي تحجج بعدم القدرة على تقديم المساعدة واعطاء الوعود دون تنفيذها، فوجدت الدولة العثمانية الفرصة في عزله وتعين مصطفى باشا الاسبيناقجي الذي وصل بغداد وابلغ عمر بالامر فهرب عمر سنة 1775م ، ومن معه من مواليه من بغداد فأدرك المماليك بنوايا الوالي الجديد التخلص منهم .غير ان تطور الاحداث وتأزم الوضع الداخلي اثبت من جديد عقم الاجراءات العثمانية ، وتحرك عسكري للمماليك كان قد اندلع في وسط العراق كان هدفه اسقاط الوالي العثماني الجديد مصطفى الاسبيناقجي مما اجبر السلطان العثماني عزل مصطفى بعد ثمانية اشهر من توليه وتعين والي جديد هو عبدي باشا . غير ان المماليك استمروا في تحركهم ورفضهم القطعي في عدم تخليهم عن السلطة . لذلك فأن عبدي باشا لم يستمر في منصبه سوى سبعة عشر يوما ً .

**- تميزت الحقبة 1775-1831 م** بتعاقب ولاة مماليك على السلطة في بغداد وظهور دور ملحوظ للقوى الاوربية في ترشيح الولاة المماليك ممن يجدون فيه تحقيق مصالحهم في العراق الامر الذي اضافة عاملا جديد في ابقاء السلط بيد المماليك . حيث شهد العراق في عهد المماليك تزايد التغلغل الاوربي وذلك لاهمية العراق الستراتيجية في الخليج العربي وعلى طريق المواصلات الى الهند وزيادة المصالح الاستعمارية المتضاربة والمتنافسة من خطورة طرق العراق لاسيما عند نشوب حرب السبع سنوات (1756-1763م بين بريطانيا وبروسيا ومجموعة امارات المانيا ضد فرنسا والنمسا وروسيا اي اشتركت فيها معظم الدول الاوربية ضد بعظها البعض ) اذ استخدمت بريطانيا طريق العراق الى الهند خلال هذه الحرب ، ورفعت تمثيلها في البصرة الى درجة قنصلية بعد ان كانت وكالة تجارية .

كما اشتداد التنافس البريطاني – الفرنسي بعد احتلال الفرنسي لمصر سن 1797م واصبح العراق محوراً رئيسياً في هذا التنافس حيث قامت بريطانيا بتقوية تمثيلها الدبلوماسي فيه فأنشأت مقيمية في بغداد تولى مهمتها **هارفورد جونز** والذي وكانت مهمته : -ايصال الاخبار ما بين الهند وانكلترا –مراقبة نشاط الوكلاء الفرنسين في العراق – اعداد تقارير مفصلة عن احوال العراق الاقتصادية والعسكرية واخيرا تحريض باشوية بغداد على افساد مخططات الفرنسين .

وفي عام 1802 حصل هارفورد على امر سلطاني بتعينه قنصلاً لبريطانيا في بغداد مع تمتعه بالحصانة الدبلوماسية .

من خلال هذه المحاضرة يمكن طرح عدد من الاسئلة ، واستخراج الاجوبة منها .

س/ دورالتدخل الاجنبي في تعين الولاة المماليك في العراق و لماذا ؟

**س/ حرب السبع سنوات ؟ بين اهم اطراف هذه الحرب واهمية العراق في هذه الحرب**

**س/ اهمية دور المقيم هارفورد جونز في تركيز المصالح البريطانية في العراق ؟**

استمرالنشاط و التدخل الاجنبي في العراق لاسيما البريطاني والفرنسي حتى مجيء الوالي داوود باشا الذي كان له تأثير كبير على النشاط البريطاني في العراق .

**- الوالي داوود باشا اخر الولاة** المماليك **في العراق 1817-1831م.**

يعد داوود باشا من ابرز حكام المماليك واخرهم حكما في العراق ، فهو من اصل جورجي جيء به الى بغداد سنة 1780 وهو لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره واعتنق الاسلام واصبح من مماليك الوالي سليمان باشا الكبير وزوجه ابنته ، وسرعان ما اظهر مواهبه من فطنة كبيرة واهتمام ادبي وكاتب من الطراز الاول ويجيد اللغة العربية والتركية والفارسية وذكاء عالي وشجاعة في القتال واصبح من كبار رجالات الحكم في العراق حتى اتته الفرصة في تولي الحكم وخهو في الخمسين من عمره سنة 1817م ، امتاز داوود باشا بأفكاره وتوجهاته الاصلاحية . كما امتاز بالعفو عن مناوئيه .

بدأ حكمه بتوطيد الامن والاستقرار والقضاء على تمردات العشائر في اواخر حكم الوالي الذي كان قبله سعيد باشا وتجدد الحملات في عام 1818 في وسط وجنوب العراق حتى شماله ارسلة حملة ضد محمود بابان ، كما حاول ايقاف دخول القاجاريين احتلال المناطق الحدودية في العراق وتسوية الامر بعد ان طلب الايرانيين الصلح نتيجة اصابت جيوشهم بمرض الطاعون ولتسوية المشاكل الحدودية التي استمرت حتى عقد **معاهدة ( ارضروم الاولى سنة 1823 م** ) ، تضمنت المعاهدة الامور التالية هي :

1. عدم التدخل في الشؤون الداخلية
2. تحديد الحدود العراقية – الايرانية
3. تنظيم الرسوم الكمركية بالنسبة للتجارة
4. عدم ايواء المعارضين او الهاربين من الدولتين
5. معاملة الزوار الايرانين القاصدين العتبات المقدسة في العراق معاملة حسنة .

لقد تميزت فترة حكم داوود باشافي السنوات التالية بشيء من الامن والاستقرار ، اذ شهدت بغداد بعض التطور والازدهار والتخلص من القوات الانكشارية وبدأ العمل في بغداد بتاسيس جيش حديث وطلب الوالي من البريطانيين التجهيزات العسكرية الحديثة والمدربين العسكرين الا ان البريطانيين رفضوا طلبهخوفاً من تعاظم قوة ونفوذ الوالي داوود باشا الا انه استمر في مشروعه الاصلاحي في العراق من خلال :-

1- تأسيس المعامل الحديثة في بغداد وجلب البواخر النهرية للملاحة والتجارة في نهري دجلة والفرات .

2- انشاء مدارس حديثة والانفاق على المدرسين والطلبة .

3- وضع حد للنفوذ البريطاني التدخل في العراق من خلال عقد اتفاق سنة 1823م في تنظيم العلاقة باعتراف والي بغداد بالالتزام بنصوص الامتيازات الاجنبية كما هي محددة في المعاهدات العثمانية والفرمانات السلطانية قديماً وحديثاً .

لم يستمر داوود باشا في منصبه ، حيث كان يواجه عدة مشاكل وتعرضه لضغط سياسي من قبل السلطة العثمانية المركزية التي جردت حملة عسكرية لاعادة سيطرة السلطة المركزية العثمانية من جديد الى بغداد سنة 1831م، كانت نهاية حكم داوود باشا بنهاية حكم المماليك في العراق .